معالم المرقد العلوي

مكتبة الروضة الحيدرية

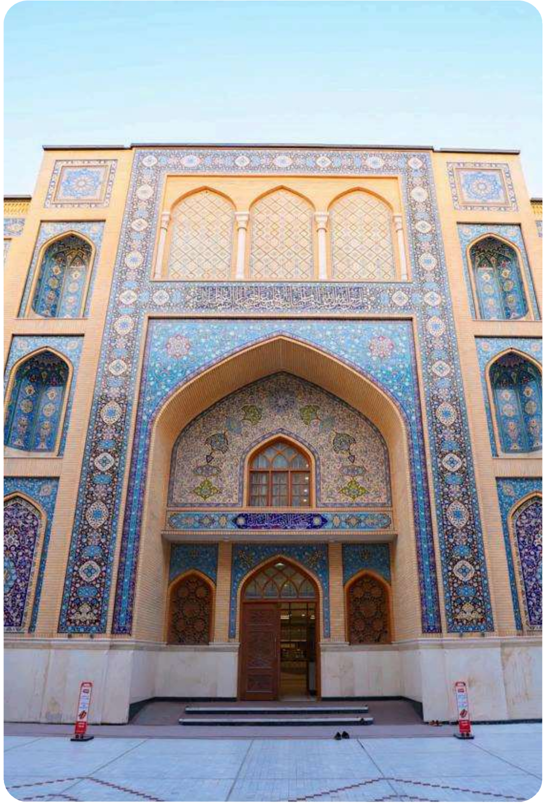

تُعدّ أقدم مكتبات النجف الأشرف، إذ يعود تاريخها إلى أوائل القرن الرابع الهجري مع نشوء المدينة وتبلور الحركة العلمية فيها، وقد عُرفت بعدة تسميات وردت في المصادر التاريخية.

قال السيد هاشم الميلاني: (فقد سُمّيت باسم: الخِزانة الغروية، الخِزانة العلوية، خِزانة الصحن، خِزانة أمير المؤمنين عليه السلام، مكتبة الصحن العلوي، المخزن العلوي، المكتبة العلوية، المكتبة الحيدرية، وأخيراً مكتبة الروضة الحيدرية، ولكن أقدم هذه الأسماء وأكثرها شيوعاً وتداولاً هو الخِزانة الغروية)[1].

قال الدكتور عبدالهادي الإبراهيمي: (والثابت تاريخياً أنّ الصّحن الحيدريّ الشّريف كان أوّل مدرسة علمية في النّجف القديمة بعد أنْ أصبحت مقصداً لطلبة العلوم في ذلك العهد، ومن الطبيعي حاجة مدرسة بهذه المنزلة إلى خِزانة كتب لرفد الطلبة بالمصادر، لذا نعتقد أنَّ المؤسس الحقيقي للخِزانة الغرويّة هم أساتذة العلم الرّواد في مدرسة النّجف العلمية أو سادِنها في ذلك الوقت)[2].

وممّا يجدر أن نذكره في هذا الصدد ما ورد في كتاب *الأحلام* للشيخ علي الشرقي، إذ قال: (لقد مَرّ عليك أنَّ الجاليات والرّواد الهابطين على المدرسة النّجفية من بلاد إيران والهند وأذربيجان وما وراء النهر والقوقاز وعاملة والخليج وبعض نواحي اليمن كانوا يَفِدون على النّجف بثرواتهم المادية والأدبية وأهمها أمّهات الكتب المخطوطة من كتب الفلسفة والرياضيات والأدب والفلك والتاريخ والمسالك والممالك، وقد كان روّاد العلم وطلّابه يسكنون على الأغلب المدرسة العلويّة الكبرى (الصّحن) ومنهم المقيم في غيرها من المدارس والدور الخاصة، وكان لهم نقيب ينظم شؤونهم، وكانت في المدرسة العلويّة خِزانة كتب نفيسة تَجمّعت مما يحمله المهاجرون، وكانوا بعدما يتزودون بزاد العلم ويعتزمون العودة إلى أوطانهم يتركون ما حملوه من نفائس الكتب وما ألّفوه من رسائل وأُطروحات في خِزانة المدرسة العلويّة مُحبَسة على طلّابها)[3].

وقال الأستاذ كوركيس عواد: (وفي صحن هذا المشهد خِزانة كتب أُنشئت منذ عهد بعيد. وقد عُني بأمر هذه الخزانة وإغنائها بالكتب الخطية الثمينة غير واحد من السلاطين والأمراء والوزراء والعلماء وذوي اليسار، ومن أشهرهم عضد الدولة البويهي المتوفى سنة 372هـ/982م)[4].

ازدهرت هذه المكتبة بعد منتصف القرن الخامس الهجري عقب هجرة شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي «قدّس سرّه» عام 448هـ/1056م من بغداد إلى النجف الأشرف وازدهار جامعتها الدينية.

وقد احترقت المكتبة سنة 755هـ/1354م، إثر احتراق بناء المرقد المطهّر، وذكر هذه الحادثة ابن عِنَبَة فقال ما نصّه: (وقد كان بالمَشهَد الشّريف الغرويّ مُصحَف في ثلاث مجلّدات بخط أمير المؤمنين عليّ عليه السلام احترق حين احترق المَشهَد سنة خمس وخمسين وسبعمائة، يقال إنّه كان في آخره: وكتب علي بن أبي طالب)[5].

أُعيد إحياء المكتبة عام 760هـ/1359م بجهود السيد صدر الدين الآوي وبمشاركة فخر المحققين الحليّ، إذ زُوِّدت بآلاف المخطوطات من النجف الأشرف وبكتب نادرة من بغداد، وعُرفت حينها باسم الخِزانة العلوية[6].

وفي بيان أهميتها، قالت المستشرقة زيغريد هونكه في كتابها *شمس العرب تسطع على الغرب*: (فمكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق كانت تحوي في القرن العاشر

أربعين ألف مجلد، بينما لم تحو أديرة الغرب سوى اثني عشر كتاباً رُبطت بالسلاسل خشية ضياعها)[7].

وقال الشيخ جعفر محبوبه: (وذَكَره الشيخ علي الحزين الگيلاني –المولود سنة 1103هـ– في سوانحه المكتوبة سنة 1154هـ، عند مجيئه النجف ومكثه بها ما يقرب من ثلاث سنين، فإنّه ذكر هذا المخزن ووصفه بالكثرة، وقال: فيه من كتب الأوائل والأواخر من كلّ فنّ ما لا يمكن عدّه وحصره)[8].

استمرت الخِزانة العلوية في أداء دورها الثقافي بما ضمّته من كتب في شتّى العلوم حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، ثمّ تعرّضت بعد ذلك للإهمال وسوء التنظيم، مما أسهم في تلف معظم مخطوطاتها نتيجة العوامل الجوية كارتفاع درجات الحرارة والرطوبة، فضلاً عن الغبار وضرر حشرة الأرضة، كما فُقدت الكثير من مخطوطاتها بسبب السرقة أو الاستعارة وعدم الإرجاع.

وقد اهتمّ بمخطوطاتها العلّامة الشيخ محمد السماوي، وكانت أوراقها مبعثرة، فجمع منها عدّة كتب ورتّبها[9]. وفي عام 1371هـ/1951م، تصدّى نائب السادن السيد محمد حميد الرُّفيعي لجمع هذه المخطوطات الثمينة فخصّص لها غرفة في الصحن الشريف مجاورة لباب القبلة، وصنع لها قفصاً ونضّدها وأصلح بعضها[10].

أُعيد تأسيس المكتبة بعد عام 1424هـ/2003م بإشراف المرجعية الدينية العليا وبسعي الشيخ فارس الحسون رحمه الله، وافتُتحت في 20 جمادى الآخرة 1426هـ/2005م، وسُمّيت مكتبة الروضة الحيدرية، وتولى أمانتها السيد هاشم الميلاني، واتخذت مقرّها في البناء المجاور لجامع عمران بن شاهين شمال الصحن الحيدري الشريف[11].

وانتقلت المكتبة من موقعها القديم في المرقد المطهّر إلى مبناها الجديد في صحن مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، ضمن التوسعة الحديثة للعتبة العلوية المقدسة، وافتُتحت رسمياً يوم الجمعة 24 جمادى الآخرة 1443هـ الموافق 28 كانون الثاني 2022م.

وقد أرّخ عام انتقال المكتبة السلام الشاعر رياض عبدالغني الحسن بقوله:

مَكْتَبَةٌ فيِ رَوْضَةِ المُرْتَضى *** قَدْ أَزْهَرَتْ بِخَيْرِها مُفْعَمَهْ
جاوَرَتْ الهادِي فَصارَتْ بِهِ *** مَعْلَمَ خَيْرٍ فازَ مَنْ يمَّمَهْ

لِأَنَّها أَرِّخْ بِفِكْرِ الهُدى *** زَهَتْ وَفِيها كُتُبٌ قَيِّمَه[12].

يتكوّن المبنى الحالي للمكتبة من خمسة طوابق بمساحة 3700 متر مربع. وقد أولت الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدّسة اهتماماً كبيراً بإعادة تنظيمها وتزويدها بالمصادر المطبوعة والمخطوطة، بالإضافة إلى آلاف الرسائل والأطاريح الجامعية، كما أُهديت إليها العديد من المكتبات الخاصة، فبلغ عدد كتبها نحو نصف مليون مؤلَّف، بما فيها الكتب الحجرية القديمة، وأكثر من سبعة آلاف وخمسمائة مخطوطة. وتهدف هذه المكتبة إلى توفير المعرفة للجميع في مختلف العلوم والفنون من خلال خدماتها المتنوعة، ومنها المكتبة الرقمية وموقعها الإلكتروني على شبكة الإنترنت العالمية[13].

المصادر

١. هاشم الميلاني، *مكتبة الروضة الحيدرية جهود وجهاد*، مطبعة الغدير، بيروت، ط١، 1429هـ، ص 64.

٢. عبد الهادي عباس الإبراهيمي، *تاريخ المرقد العلوي المطهر*، دار أبو طالب للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ط١، 1446هـ/2025م، ص 383–384.

٣. علي الشرقي، *الأحلام*، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ط١، 1383هـ/1963م، ص 58.

٤. كوركيس عواد، *خزائن الكتب القديمة في العراق*، مطبعة المعارف، بغداد، 1367هـ/1948م، ص 131.

٥. أحمد بن علي بن الحسين الحسني (ابن عِنَبَة)، *عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب*، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط٢، 1380هـ/1961م، ص 20–21.

٦. جعفر الخليلي، *موسوعة العتبات المقدسة*، قسم النجف، ج٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، 1987م، ج 7، ص 226.

٧. زيغريد هونكه، *شمس العرب تسطع على الغرب*، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، ط١، 1964م، ص 386.

٨. جعفر باقر محبوبه، *ماضي النجف وحاضرها*، دار الأضواء، بيروت، ط٢، 1430هـ/2009م، ج١، ص 150.

٩. جعفر الدجيلي، *موسوعة النجف الأشرف*، دار الأضواء، بيروت، ط٢، 1428هـ/2007م، ج٣، ص 160.

١٠. محمد صادق بحر العلوم، *الروضة المبهجة (المجموعة الخطيّة العاشرة)*، مكتبة العلمين العامة/قسم المخطوطات، النجف الأشرف، ص 215.

١١. هاشم الميلاني، *مكتبة الروضة الحيدرية جهود وجهاد*، ص 71–72.

١٢. عبد الهادي عباس الإبراهيمي، *تاريخ المرقد العلوي المطهر*، ص 390–392.

١٣. المصدر نفسه.

العربية

الأقسام الرئيسية

العتبة العلوية المقدسة

المرقد العلوي المطهر

سيرة الامام

الوسائط

الإصدارات

الخدمات

المواقع التابعة

المواقع التابعة

دار القرآن الكريم

قسم الشؤون الدينية

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فضائية العتبة العلوية المقدسة

مكتبة الروضة الحيدرية

مركز المحسن (ع) لثقافة الأطفال

مجلة الولاية

شبكة الإمام علي (عليه السلام) ميديا

شركة فيض القسيم

تكنولوجيا المعلومات

الخدمات

مفقودات الزائرين

الزيارة بالإنابة

التبرك بمضيف أمير المؤمنين (عليه السلام)

الأسئلة الشرعية

طلب التشرف بالخدمة

العتبات المقدسة

العتبة الحسينية المقدسة

العتبة الكاظمية المقدسة

العتبة الرضوية المقدسة

العتبة العسكرية المقدسة

العتبة العباسية المقدسة

شبكة الامام علي عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة للعتبة العلوية المقدسة © 2026